

الثواب والعقاب في التربية

الثواب والعقاب فى التربية

البعض منا يعتقد أن التربية تتمثل فى الثواب والعقاب للطفل.. والحقيقة أن التربية قضية شديدة التعقيد وتتداخل فيها عشرات العوامل والظروف، والثواب والعقاب مجرد جزء من هذه القضية.

وقد آن الأوان لإصلاح بعض المفاهيم الخاطئة فى الطريقة التربوية للأبناء وخاصة فى تطبيق الثواب والعقاب.

فالتطبيقات الخاطئة فى هذا المجال والتي يبدو معها الثواب شكلا من أشكال التدليل وربط الأعمال الإيجابية بالمكاسب التي يحققها الطفل من ورائها وليس بقيمتها الذاتية - وبدا معها العقاب شكلا من أشكال الانتقام أو تنفيس الغضب، وكل ذلك لا يمكن أن ينسجم مع متطلبات التربية الحديثة وحاجة المستقبل لشخصيات فعالة، قادرة، تتسم بالثقة بالنفس والقدرة على الإنجاز والانتفاء للعقيدة والوطن.

لذا يجب علينا ألا نغفل دور الثواب كحافز أساسى للتعديل السلوكى.

كما يجب التدرج فى الثواب والعقاب بشكل يتناسب مع حجم ونوع السلوك الإيجابى والسلبى ومراعاة الظروف الشخصية

والفروق الفردية والعدالة الكاملة في الثواب والعقاب
وإدراك الطفل التام لأسباب إثابته أو عقابه.
ولنتعرف معا على كيفية الإثابة والعقاب للطفل وما يجب
مراعاته فيهما !

أولاً: الثواب

إن للثواب أهمية كبرى في عمليات التنشئة والتربية بصفة عامة، فغالبا ما يرافق الثواب ارتفاع الحالة المعنوية للطفل، وتزداد درجة ثقته بنفسه ويدفعه لبذل مزيد من الجهد للوصول من جديد لمواقف وإنجازات ونجاحات تؤدي دوما للثواب.

ويكون إهمال هذه الجزئية من جانب الوالدين أو المعلمين أمرا يعكس غيبة المفاهيم التربوية الصحيحة.. وقد قال الله عز وجل:

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠ الكهف).

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ (٨٩ النمل).

• وقد راودنى العديد من الأسئلة وأردت لها الإجابات الشافية التي قد تساعدنا في هذا الصدد وستناولها على التوالي:

• ما التوقيت المناسب للثواب؟

تؤكد الدراسات الحديثة لعلوم النفس والتربية أن أفضل توقيت للثواب هو الوقت الذي يعقب الفعل مباشرة.. ففي هذا الوقت تحدث الآثار القصوى التي نريد تحقيقها من خلاله.

• متى يجب أن نثيب الطفل؟

لا يمكن بالطبع أن نستخدم هذا في كل ما يقوم به الطفل من أعمال، ولكن هناك نوعا من الأعمال يؤديها على مدى زمني طويل

وتحتاج منه لمجهودات متواصلة كالإنجاز الدراسي مثلا.. ويكون الثواب هنا أجلا لأن هذا يتطلب وقتا، ولأن الطفل يبذل فيه جهداً مخلصاً وحقيقياً، ويحقق هذه الإنجازات قبل أن يحصل على الثواب.. ولكن من الممكن أن نشجعه بكلمات المديح والثناء واستحسان سعيه نحو الهدف - كالتفوق مثلا- الذي لا بد من تحقيقه للحصول على الثواب.

● شكل الثواب:

قسم علماء التربية الثواب إلى قسمين:

الثواب المادي: ويتمثل في الجوائز والهدايا والنقود والألعاب والملابس الجديدة وما إلى ذلك.

الثواب المعنوي: ويتمثل في كلمات الثناء والإطراء والتصفيق والتشجيع، كل هذا يفيد في رفع معنويات الطفل ومساعدته على الوصول لما نريده منه.

● ما النقاط التي يجب اتباعها حتى يترك الثواب أثره الفعال على الطفل؟

أولاً: لا بد أن يتناسب الثواب مع ما يقوم به الطفل وأن يسهم في إشباع حاجاته المادية أو النفسية.. فمثلا لو كان هناك متفوق موسيقيا أهديه آلة موسيقية ولا يجب أن أهديه كرة.. وهكذا حتى يقوم الثواب بالدور المنوط به.

ثانيا: طريقة الثواب لا بد أن تختلف من طفل لآخر حسب طبيعته.. فمثلا بعض الأطفال.. ينتشون لكلمات الإعجاب والإطراء، وهناك من لا يهتم بهذا، كما أن هناك أيضا من يفرح بقلم هدية أو نزهة قصيرة.. وعلى الجانب الآخر يقف المتختم بكل ما يريد وما لا يريد.. فتعجز الجوائز عن الأعمال فيه ولا بد من وجود طريقة لإثابته.

ثالثا: عدم الإفراط في الثواب المادى إلا إذا صادف حاجة ملحة لدى الطفل أو أسهم مثلا في تنمية مواهبه وقدراته.. والأجدى غالبا الثواب المعنوى.

رابعا: أشكال الثواب المعنوى لا بد أن تتنوع حتى يكون لها بريق دوما.. فهناك الشكل التذكارى الموثق للثواب والذي يدوم أثره وربما لباقي العمر وتصاحبه دائما ذكريات جميلة للشخص ويتذكرها باستمرار، ويتذكر المواقف والأحداث التى رافقت حصوله عليها، ويظل يحكيها بين الحين والآخر مما يذكره دائما بأسبابها وأحداثها كشهادات التقدير مثلا.

• وهناك بعض المحاذير التى تجب مراعاتها عند الثواب فى التربية حتى لا ترسخ فى نفس الطفل وتؤدى لتتأج عكسية منها:

أ- اعتبار الثواب بمثابة رشوة :

يخطئ الكثيرون من الآباء والأمهات والمعلمين فى إسرافهم

في وعودهم المتكررة للطفل لدرجة أنه لا يقوم بالتزاماته العادية أو تصرفاته الطبيعية - كإنجاز واجباته المدرسية مثلاً، أو التوقف عن الصراخ أو تناول الطعام - إلا إذا حصل على الثمن المقابل لذلك.

وإذا تكرر هذا السلوك دوماً يصبح بمثابة رشوة نقدمها للطفل لنضمن قيامه بالسلوك الطيب أو توقفه عن السلوك المعيب.. وهكذا تفقد الأعمال في نظره قيمتها الذاتية وتحدد قيمتها بما يجنيه من ربح بسببها..

وبالتالى يكون التطور المنطقي أن يفقد الطفل حماسه إذا ما توقفت الرشوة أو خفضت..

والخطورة تكمن في أنه لو شب على ذلك فستعمم هذه الخبرة على كل المواقف الحياتية مستقبلاً، ويلجأ دائماً بالوسائل السلوكية العكسية للضغط على والديه لكي يحصل على ما يريد.

• إذن ما المطلوب منا لنقوم بذلك؟

المطلوب أننا ونحن بصدد تعزيز السلوكيات الإيجابية للطفل أن نغرس قيمتها الذاتية فيه، بمعنى أننا نوضح له مثلاً أثر سلوكه الطيب على المحيطين به، بأن نقول له: إن هذا يرضى الله أولاً ثم الناس، أو هذا سيفرح والديه أو معلمه حتى تزيد ثقته بنفسه ويرضى عنها.. وبذلك يكف تدريجياً عن السلوك السلبي لأنه خطأ في حد ذاته وليس لما يحصل عليه.

لكن أيضا.. هناك شيء مهم يجب أن نضعه نصب أعيننا وهو مراعاة سن الطفل وظروفه حين نحاول غرس قيمة معينة في نفسه.. فمثلا إذا كان الطفل في سن صغيرة لا يجب أن نسرف في الحكى له عن عقاب الله للمخطئ... وهكذا.. حتى لا يصاب الطفل بالتوجس والخيفة من أمور لا يستطيع إدراكها في عمره هذا.. ودائما نقول "بشروا ولا تنفروا" لأن هذا من الممكن أن يؤدي لنتائج عكسية وعقد نفسية من نوع جديد.

ولا يجب مثلا أن نهدهه بأنه إذا لم يلتزم بهذا السلوك سيفقد حبا له وتدليله - وأعتقد أن هذا أبسط ما نقوله للطفل - ولو تدرى كل أم أو معلمة ما يدور بخلد الطفل ما قالت له ذلك أبدا، لأن هذا من الممكن أن يشعره بعدم الأمان الداخلى ويؤدي لنتائج وخيمة، لأن الطفل حينئذ سيتخبط فيما سيفعل خوفا من فقد الحب المحيط به والذي يمثل له في هذه السن الصغيرة الأمان... وعموما خير الأمور الوسط في كل شيء.

• لكن ما الطريقة المثلى إذن لإثابة الطفل والتي تحقق ما نرجوه من السلوك الطيب؟

الطريقة المثلى في ذلك أنه لا مانع حين يبذل الطفل جهدا مخلصا في اتجاه عمل ما، ويدرك أنه قام به لأنه عمل طيب ويرضى عنه الجميع أن نقول له كلمة إطراء أو نمده بقطعة حلوى أو هدية رمزية تناسبه وتناسب جهده.. ولكن لا نبالغ في ذلك.

• وماذا لو تحول الأمر عنده لانتظار ثمن ما يقوم به؟

في هذه الحالة لابد من وقفة تعيد الأمور لنصابها وموقعها الصحيح حسب حالة كل طفل وبطريقة تربوية سليمة حتى لا نخرج بالثواب عن الإطار التربوي وعن الوظيفة التحفيزية التي ينبغي أن يلعبها.

ب- الثواب والغرور:

• هل من الممكن أن تؤدي طريقة إثابتنا للطفل إلى الغرور؟

نعم، بالفعل ممكن أن تؤدي طريقة الإثابة لغروره إذا لم نتبه لذلك.. فعلى الرغم من الأهمية القصوى للثواب في تربية أطفالنا إلا أن استخدامه في التربية يجب أن يكون بحذر وبحساب حتى لا نفسد بإسرافنا ومبالغتنا في الثواب والإطراء والإشادة أولادنا المتفوقين والمبدعين والموهوبين مثلاً، الذين يفسدون بسبب تلك المبالغة في التدليل بكافة أشكال الثواب المادي والمعنوي الذي يتصاعد ويتسابق الكثيرون إليه، فيتسلل خيفة لداخل هذا المتفوق الشعور بأنه يختلف عن ذويه وأنه مميز عن البشر ويتضخم هذا الإحساس بداخله فيخطئ في تقديره لذاته.. ويبدو هذا واضحاً بالنسبة لمن يحققون إنجازات رياضية وفنية بصورة خاصة.

أما في حالات التفوق الدراسي، فنجد أطفالاً وناشئين يصابون بالهلع والذعر إذا انخفضت درجاتهم ولو قليلاً عن

النهايات العظمى وذلك لإحساسهم بأنهم لا بد أن يكونوا أفضل من الآخرين.

وقد تظهر هذه الأعراض أيضا على الوالدين، حيث الاعتزاز بأبنائهم وبناتهم فيكثرون من الإشادة بهم وإطرائهم أمام الآخرين وتمييزهم بالهدايا والمعاملة المبالغ فيها.

ف نجد مثلا أما تذهب للمدرسة وتثير ضجة لأن ابنها هبطت درجاته درجة أو درجتين، وفي هذه الحالة نجد الطفل فخورا وسعيدا بما تفعله أمه ويصل لأسماع أقرانه.. ويقف بينهم مغرورا.. وهذا له خلفياته النفسية على المدى الزمنى البعيد.

ويقف على الجانب الآخر الأب الذى فشل فى حياته من قبل فيحاول أن يحقق نجاحاته، من خلال ابنه دون النظر لإمكانيات هذا الابن العقلية والنفسية، فيظل يثقله بالرشاوى والإكراميات ليحقق النجاح الذى يريه دون أن يعلم أنه يفسده بذلك، وأن هناك طرقا تربوية لا بد من مراعاتها ليكون الطفل سويا مستقبلا.

ج- الثواب والتنافس:

• هل يدخل التنافس فى مجال التحصيل الدراسى؟ وما الدور المنوط بالثواب هنا؟

الكثير من النشاطات الإنسانية ذات الطابع التنافسى كالرياضة والفنون وغيرها يكون للثواب أثر كبير فى تحقيقها..

ويدخل التنافس إلى مجال التحصيل الدراسي أيضا.. وبالتالي يدخل كل بيت بإرادة الوالدين وأحيانا بدون إرادتهم.

وعلى الرغم من تشجيعنا للتنافس الشريف الذى يعطى أفضل النتائج، إلا أن هناك التنافس المقيت المزعج الذى يتحول إلى هدف بحد ذاته.

وهذا التنافس غالبا ما يتم بين أفراد متفاوتين فى قدراتهم وإمكانياتهم فيكون التنافس غير عادل، وبالتالي يكون الثواب المترتب عليه ظالماً ومحبطاً للكثيرين.

ومن هنا لكى يظل الثواب فى إطاره التربوى، لابد أن يتم بين أفراد من نفس الأعمار ومتقاربين فى إمكانياتهم وقدراتهم.

ولكن.. ما لا يلاحظه البعض هو مدى المعاناة التى يشعر بها من لم يثابوا.. ومن الطبيعى ألا يحصل الجميع على الثواب.. وغالبا ما يحصل عليه الأقلية.. ولكن ماذا عن الأكثرية؟

• غالبا ما يشعر الذين لم يثابوا بشكل من أشكال الإحباط والغيرة، بل إن البعض يشعر بأن حصول غيره على جائزة مثلا هو نوع من أنواع العقاب بالنسبة له وخاصة إذا كان متفوقا.

ولذا يجب على القائمين على أمر الثواب مراعاة ذلك الأمر بمحاولة تخفيف الآثار الواقعة عليهم بتشجيعهم ولو بالكلمات ودفعهم للأمام ليصلوا كما وصل غيرهم وخاصة إذا كان عندهم

استعداد.. وأن يوجهوا الفائز بعدم التعالي على أقرانه ومكايدهم بفوزه.. إلخ.

• وماذا عن المتحسين نسبياً وغير المتفوقين ولكنهم يسعون؟

ينبغي أن نمدحهم باهتماماتنا أيضاً ونحمسهم للتفوق.. فالطفل الذى حصل على درجات منخفضة فى إحدى المواد، ثم تقدم فيها بعد ذلك فى الاختبار التالى مثلاً محققاً درجات عالية.. أو كان قد رسب فى إحدى المواد ثم سرعان ما استوعب الموقف واجتهد ونال نجاحاً.. لا بد من إثابته على قدر مجهوداته تعزيراً لسعيه نحو الأفضل ودرءاً لإحباطاته السابقة، وبالطبع يطبق هذا على كل جوانب الحياة.

• وفى النهاية ومما سبق تتضح الأهمية الكبرى للثواب فى عمليات التنشئة الاجتماعية بصفة عامة، وفى عمليات التربية والتعليم بصفة خاصة.. ويكون بإهمال هذا الجانب من الأبوين أو المعلمين أكبر آثاره السيئة على أبنائنا.

وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾

(النمل ٨٩).

وقال أيضاً: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة ٧).

وأخيراً؛ وبعد أن استعرضنا دور الثواب فى التربية يمكن القول

إن أساتذة التربية المعاصرين اتفقوا على أنه يسهم في إشباع حاجات أساسية لدى الإنسان، كالحاجة إلى تقدير الذات أو توكيدها والحاجة أيضا إلى التقدير الاجتماعي، كما اتفقوا على مجموعة من الاعتبارات المهمة المتعلقة بالثواب بالمقارنة بالعقاب أهمها:

- إن أثر الثواب إيجابي في حين أن أثر العقاب سلبي.
- إن أثر الثواب في التعلم أقوى وأبقى من أثر العقاب، فالمدح أقوى وأفضل من الذم.
- إن أثر الثواب أكثر دواما واستمرارا وتواصلا من أثر العقاب الذي يكاد أن يكون أثره مؤقتا.
- إن أثر الثواب في الغالب يضمن تكرار وتثبيت السلوك المثاب عنه، بينما لا يضمن العقاب الكف عن السلوك المعاقب عليه.
- إن للعقاب إذا لم ينبثق من رؤية تربوية سليمة، نتائج سلبية وقد تكون خطيرة ومدمرة في مستقبل الفرد بعكس الثواب إذا طبقناه مع مراعاة المحاذير التي سبق وقلناها.



ثانياً: العقاب

• متى نعاقب الطفل؟ وهل لابد من ذلك؟

بالطبع إذا استرسلنا في أسباب معاقبتنا للطفل لكتبتنا الكثير والكثير، وذلك لتعدد الحالات والأحوال التي يعاقب فيها الكبار صغارهم، لكن من الممكن أن نسرد بعضاً منها، وهى الحالات الشائعة التى يعاقب الطفل بسببها.

فمثلاً " الشقاوة " وهى تلك الحيوية المتدفقة والحركة الدائبة التى لا تكاد تتوقف بالنسبة للصغار والتى يرافقها شيئاً من الإزعاج، وتكسير بعض الأشياء، وإقامة معارك صغيرة بين الأطفال وبعضهم البعض مما يجعل الأمهات دائيات الشكوى من أطفالهن الذين لا يهدون ولا يجلسون لحظة منذ استيقاظهم وحتى نومهم، وكل ذلك يتطلب فى نظر الآباء "العقاب" لحمل الصغار على الكف عن "شيطتهم" وبهذا يقع الكبار فى خطأ ووهم كبيرين.

الخطأ هنا الذى يقع فيه الكبار يكون لإساءة الظن بتلك "الشقاوة"، واعتبارها ظاهرة سلبية تعبر عن سوء الأدب، وقلة التربية.

أما الوهم فهو بتصورهم أن الطفل سيكف عن حيويته وحرركته ونشاطاته بعقابه.

والحقيقة التي تغيب عن البعض أن الأمر الذي يحدث هو أمر عادي تماما.. حيث إن الحيوية والحركة ظاهرة إيجابية وصحية في نمو الطفل.. وهي ظاهرة طبيعية بحكم مراحل النمو التي يمر بها.

فمثلا عندما يتخطى الطفل سنتي المهد ويرتقى إلى مرحلة الطفولة المبكرة، لا بد من أن يجرب مكتسباته من النمو.. مع التغيير والانتساع الحادث في إمكانيات جسمه والذي ينمو بسرعة في تلك المرحلة.. فنجد أن عضلاته تنمو ويصبح معها مستعدا للقفز والجري وتسلق الأشياء وتتحول حياته بكاملها إلى اللعب والنشاط الجسدي ويكاد يستغرق معظم الوقت في هذا ونجده مستقل نسبيا عن اعتماده المطلق على من حوله.

أما إذا نظرنا للطفل فيما بعد ذلك، وفي المرحلة التي يطلق عليها الطفولة المتوسطة أو المتأخرة وهي من سن ٦:١٢ سنة، والتي يضح فيها الآباء من شقاوته.. فنجد أننا بصدد ملمح مميز يتمثل في التباطؤ التدريجي للنمو الجسمي مع زيادة طاقة الطفل مما يدفعه دفعا إلى التواثب والتفافز والضجيج واللعب بشكل يبدو لا نهاية له.. وسط دهشتنا نحن الكبار حول مصدر هذه "الشقاوة" و "الشيطنة" كما يطلقون.. ومن هنا يلقي الطفل مقابله ضروبا شتى من العقاب.. بينما في الحقيقة هو لا يستحق

هذا لأن ما يقوم به يعد طبيعياً مائة فى المائة وعدا ذلك فهو غير الطبيعى .

ولذا نجد بعض الأمهات يتباهين ويثنين أحياناً على طفل هادئ مطيع لا يعترض ولا يتشاجر مع أقرانه ويجلس فى مكانه دوماً لا يبرحه.. ولكن ما لا يعلمنه أن هذا الطفل ليس بالطفل المثالى الذى تتحسر الأمهات لأن أطفالهن ليسوا على شاكلته، لأن شقاوة الأبناء وضجيجهم ظاهرة صحية وليست علامة مرضية، ولا تدل على عدم الأدب أو سوء التربية إطلاقاً، فهذا الأمر لا يعتمد على الصغار، ولكنه أحد مظاهر نموهم، فضلاً عن إمكانية توظيف هذا لصالح نموهم الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى.. فعلاً نعاقبهم إذن؟!!

• وهنا تتساءل الأمهات: ما الحل؟ هل نتركهم هكذا على فطرتهم دون عقاب أو توجيه؟

لا.. بالطبع لا يجب أن نتركهم هكذا.. بل علينا أن ننصح ونرشد ونحاول تحقيق نوع من الانضباط ولكن غير الحديدى، فمن الممكن أن نوجه هذه الحيوية لاتجاهات نافعة كلعب الرياضة مثلاً.. وفى كل الأحوال لا بد أن نسمح بهذه "الشقاوة"، وأن نعذرهم عليها - فكما قلنا هم لا يعتمدون هذه التصرفات - ويجب ألا نتخذها مبرراً لإرواء غيظنا وتنفيس غضبنا.

لهو ولكن هناك أمراً يجب ألا نتهاون فيه، وهو أن يتلفظ الطفل

مثلا ألفاظا نابية يكون قد سمعها من الشارع أو غيره، أو يقوم بأفعال عدوانية مبالغ فيها تجاه الآخرين، هنا لابد من وقفة وتوجيه وعقاب ولكن غير مبالغ فيه أيضا، أى يكون العقاب على قدر الفعل مع التوجيه والنصح وحسب سن الطفل.

وفي حالات كثيرة نجد أن الكبار يعاقبون أطفالهم لعدم تحصيلهم الدراسى وتدنى نتائجهم ويرهقونهم بمقارنتهم بذويهم الأكثر تفوقا وهذا الأمر لا يبدو مقبولا ولا منطقيا ولا عادلا إذا كان التقصير لأسباب خارجة عن إرادة الطفل كالعوامل الوراثية، أو إمكانياته العقلية مثلا، أو عدم الاستيعاب، أو المناهج غير المناسبة له أحيانا.

وفي تلك الحالات هو ليس في حاجة لعقاب بل لمعرفة السبب ومعالجته وذلك لأن عقابه سيكون بلا داع ولا سبب، لأن ما يحدث هو ضحية فيه، ويحدث دون إرادته.

وعلى ذلك يجب أن نسعى لعلاج العوامل المؤثرة عليه نفسيا واجتماعيا وحصارها والوقوف على مضاعفاتها فهى ما نستطيع وإلى حد كبير أن نتدخل فيه بالتغيير والتحسين.

أما إذا كان التأخير بسبب إهماله أو عدم تنظيمه لوقته أو لامبالته فيكون الطفل مسئولا عن ذلك ويجب توجيهه التوجيه المناسب وعقابه المناسب غير المبالغ فيه.

وفي كل الأحوال علينا أن نأخذ بيده ونضاعف الجهد معه ونوفر له ظروفاً بيئية أفضل وألا نشعره بالنقص أو الدونية وألا نحمله ما لا تطيقه قدراته المتواضعة.. بل نبحث معه وداخله عن نقطة مضيئة نستثمرها لصالحه.. أما أن نعاقبه لتواضع قدراته فهذا أمر مرفوض، ومن الممكن أن يعقد المشكلة أكثر.

كما أنه لا يجب أن نعاقب أطفالنا عن اضطراباتهم النفسية أو الانفعالية مثل الخوف والغيرة والحركات اللاإرادية التي تتم عن طريق الفم أو العينين أو الأكتاف... إلخ.

ولكن لا بد من البحث عن العلاج عند المتخصصين حتى لا نؤدى لنتائج غير محمودة العواقب.

وهكذا تتعدد الحالات وتتفاوت درجات العقاب بحسب المعاقب ومن يعاقب، وبحسب الفعل الذى قام به الطفل.. ونحن لا نرفض العقاب كوسيلة تربوية ولكن نرفض في بعض الأحيان طريقة القيام به.. حيث نجد البعض يبالغ فيه، وبالتالي يكون رد فعل المعاقب أكثر بكثير مما قام به الطفل.. وفي أحيان أخرى يكون رد فعل المعاقب أقل كثيراً عما قام به الطفل.

وللأسف غالباً ما يأتى العقاب حسب حالة المعاقب النفسية، وهذا كثير ما يضر بالطفل ويجعله مضطرباً.. ومن الواجب ألا تؤثر نفسية المعاقب كالأم مثلاً على عقابها لأبنائها..

فإذا كانت سعيدة لا تلقى بالالما يفعلون وتتغاضى عن أشياء كثيرة يستحق عليها الأطفال العقاب.. وإذا كانت متضايقة أو مكتئبة ينعكس ذلك على عقابها لهم.. فتعاقبهم أحيانا بصورة مبالغ فيها على أشياء تافهة لا تستحق، مما يجعل الأبناء في حالة تخبط واضطراب.. فمن الخطأ أن يحدث هذا لأن هناك أموراً تربوية يجب أن يأخذ العقاب فيها الشكل الصحيح وإلا أتى بنتائج عكسية، فعقاب طفلك المخطئ له أصول.

← فقد تفاجأ الأم في أحيان كثيرة بارتكاب طفلها الصغير لسلوك خاطئ فتبادر بعقابه لاعتقادها أن العقاب الفورى سيعلمه الخطأ من الصواب، لكن هذا لا يحدث، وتكرر السلوكيات الخاطئة ويتكرر العقاب دون جدوى بل على العكس تماما قد يزداد الطفل تشبهاً بهذه السلوكيات التى تغضب والديه، وتتساءل الأم أيضا عن أسباب هذا التصرف وعن الأسلوب الذى يجب عليها إتباعه عند ارتكاب طفلها لأى سلوك خاطئ!

وهنا يمكننا القول بأن الأمر يحتاج أولاً لتفهم أسباب هذا التصرف الخاطئ حتى يأتى رد فعلها مناسباً لهذا الدافع المحدد، وليس لأى دافع آخر، فالمعروف أن العقاب يمكن أن يكون ضاراً أحيانا ومفيداً فى أحيان أخرى، لذلك فمن المهم أن يكون رد الفعل مبنياً على أساس فهمها لهذا الدافع بالتحديد.

والخبر.. لا بد أن يكون العقاب مناسباً للفعل فلا نبالغ فيه على أى حال.. وأفضل توقيت للعقاب هو الوقت الذى يعقب الفعل مباشرة، فكلما كان فورياً ترك أثره التربوى على الطفل لكن ليس ونحن ناثرون أو غاضبون بشدة حتى لا نتسبب فى أذى الطفل وأذى أنفسنا إذا انفعلنا مثلاً وأشبعناه ضرباً أو لكما بما لا يتناسب مع ما فعله.. فلنحذر هذا بقدر الإمكان.

وعلينا بعدم التهادى فى ضرب الطفل أو صفعه أو إهانتته، فهذا إن دل لا يدل إلا على عجز من يقوم بهذا، فالأم والأب فاقدان الثقة فى نفسيهما هما من يفعلان ذلك لأنهما يعجزان أن يكونا مثلاً أعلى لطفلهما أو يمداه بالحب مما يثير حفيظة الطفل ويتحداهما ولا يفعل ما ينصحانه به أو ما يعاقب بسببه بل يتهادى فى ذلك.

← ولو رجع الآباء للماضى قليلاً سيجدون أنهم يتعاملون مع أطفالهم كما كانوا يتعاملون دون أن يدركوا ذلك، فالأمهات والآباء الذين جاءوا من أسر لا تستعمل العقاب إلا قليلاً وكان فى استطاعة آباؤهم فرض قواعد السلوك السليم عليهم دون عقاب، فهذا النوع من الآباء يمكنهم أن يفرضوا قواعد السلوك السليم دون عقاب، ويملكون القدرة على الحسم والحزم فى قيادة الأمور دون تطبيق العقاب على الأطفال إلا فى الحالات القصوى.

وعلى العكس تماما بالنسبة للآباء الذين عاشوا طفولة مليئة بألوان عديدة من العقاب فهم يارسون ذلك مع أبنائهم.. وعليهم أن يتبهاوا لذلك.

ولابد لنا أن نعاقب الطفل بالطبع، ولكن يكون هذا في اللحظة المناسبة وبالأسلوب الهادئ غير المنتقم حتى يشعر بالسبب في معاقبته ويشعر بخطئه.. وذلك العقاب المناسب يجب ألا تصحبه نزعة انتقامية أو تفلت حينه أعصاب الأم أو الأب.

لا شك أن هناك تصرفات للأطفال قد تجعلنا نفقد صوابنا معها، ولكن لابد أن نعود أنفسنا التماسك ومعالجة الأمور برفق وحتى لو خرجنا على صوابنا في بعض الأحيان فلا نعتبر هذا سلوكا عاديا بل نحاول تفاديه.

وهناك أمر لابد أن نضعه حلقة في آذاننا وهو ندمنا بعد معاقبة الطفل وإظهار ذلك له، لأن العقاب حينئذ لن تكون له فائدة حيث سيشعر الطفل بأنه ظلم وقد يترك هذا أثرا في نفسيته وقد يتهادى فيما يفعله.

« وصور العقاب المتعددة التي تناسب الطفل لا يستطيع أن يحددها إلا المقيمون معه، فأحيانا يكون ضرب الطفل - بالطبع غير المبرح - لمجرد الإهانة على مؤخرته أو يديه مثلا ينفع مع طفل ولا يفيد مع آخر، كذلك هناك من يجس الطفل في حجرته لمدة

دقائق وهذا يؤثر في أحدهم فيأتي معتذراً باكياً، وقد يشير طفلاً آخر فيحطم الأشياء أو يظل يصرخ بصوت عالٍ لمدة طويلة.. وهناك ما يصلح معه حرمانه من المصروف أو منعه من الذهاب للنادى... إلخ وبالطبع هذا يصلح للأطفال بعد السابعة لأنهم سيدركون ذلك.

وعقوباً يمكننا القول بأنه حين يكون العقاب عادلاً سيشعر تجاهه الطفل بالعدل، وإن كان ظالماً فسيؤدي لفقدانه الثقة بالقيم الأخلاقية.

وإذا كان العقاب لتعريف الطفل الصواب من الخطأ فلا بد أن نوضح له ذلك حتى لا يكون العقاب بلا جدوى، ولا بد أن يتم تأديبه في إطار من الحب والاحترام، وإذا استطعنا أن نفهم أطفالنا أخطاءهم من البداية وبكل حزم لن نلجأ لهذه الأساليب مستقبلاً.

فالابن لن يتأدب بالعصا وبالأذية المستمرة ولكنه يتأدب بالقدوة الحسنة متناً، ولذا علينا أن نراقب أنفسنا أولاً قبل أن نعاقبه، فالطفل مرآة لأسرته وسلوك الطفل يكتسب منهم ومن البيئة المحيطة، فلننتبه لذلك قبل معاقبته، كذلك يجب ألا يستمر العقاب لفترة طويلة حتى لا يفقد قيمته فلا نحرمه من مصروفه لمدة طويلة أو نقاطعه ونخاصمه عدة أيام، فهذا في البداية سيشعره بالحزن والتعاسة ثم سرعان ما يعتاده.

وعلينا أن ندرك في النهاية أن العقاب ليس الوسيلة الوحيدة لمنع أطفالنا من التصرفات الخارجة عن حدود الآداب العامة، فالعقاب أسلوب نلجأ إليه فقط حينما نستنفد كل الأساليب التربوية الأخرى وحين نفشل تماماً في توجيه الطفل ناحية السلوك السليم.. وحتى لو حدث هذا لن يفيد العقاب إن لم يستند لعلاقة حب عميقة بين الوالدين وطفلها لأن هذا سينعكس على معاملة الطفل للآخرين الذي يفضل دائماً أن يكون محبوباً منهم.



وأخيراً

توصيات لعلماء التربية

بعض التوصيات التي قد تفيد كثيرا في تربية ابنائنا!

← **أولاً : اعطف على ابنك واغمره بحبك ولا تقيده :**

بالطبع كلنا نود أن نكون محبوبين لذاتنا فقط .. وليس لمواهبنا أو لما يمكن أن نفعله.

ويقترف الكثيرون منا إثما حين يهددون أطفالهم بوقف حبهم لهم وعطفهم عليهم كأن نقول لهم : " لو لم تتأدب لن نحبك " أو " إذا لم تفعل هذا لن نحبك " ويحاول الطفل أن يتشبث بهذا الحب لأنه يمدده بالإحساس بالأمان، فهو إن لم يشعر بحب ذويه سيحاول أن يثار بانحرافه في أى شىء حتى يقلق والديه ومدرسيه ويجعلهم يحسون بالتعاسة كما يشعر .. وحتى إذا حاول أن يكون مهذبا ويسير كما يوجهونه سيشعر أن هذا الحب مهدد ويفقد أهم مثير للسلوك الطبيعي.

فيجب أن يعرف الطفل أنك تحبه في جميع الظروف، وأن حبك له لن ينقص قدر أنملة ، فمثلا إذا هو رسب في امتحاناته أو قلت درجاته. فلا بد أن يكون عقابك له أو توجيهك شيئا، وحبك شيئا آخر .



← ثانياً : لابد أن تظهر ثقته به ويقدراته :

يحاول الكثيرون منا حماية أطفالهم من الفشل خوفاً عليهم من أن يتألموا، ولا ندرك أننا بذلك سوف نسبب لهم ألماً أكثر على مر الأيام حين يواجهون الحياة بمفردهم ويتعرضون للمواقف المختلفة.

ومن المفروض أن نظهر للطفل من الثقة به عندما نسمح له بالقيام بأى عمل ونشجعه في محاولاته ونتركه يقوم به بنفسه، وذلك مهم لنموه ونضجه أكثر من نجاحه الأخير أو فشله .

ولابد أن يشعر الأطفال بثقتنا فيهم بأن نمتدح ما يقومون به من عمل ونقدر نجاحهم حتى لو كان محدوداً فيه .. ونعمل على أن نعطيهم الأعمال التي يستطيعون القيام بها وألا نعطيهم عملاً لا يستطيعون إتمامه فيحبطون ويشعرون بالعجز .. وعلى المعلمين بالمدارس أن يراعوا هذا .



← ثالثاً : لابد من تشجيع الطفل على الابتكار :

فكثيراً ما يريد الطفل مساعدة الكبار في أعمالهم سواء المنزلية أو الخارجية وينهرهم الكبار لأنهم يرون أنهم سيعطلون أعمالهم .. وعلى العكس تماماً يجب أن نكافئ الطفل على هذا الإقدام على العمل.

ولكن كثيرا ما يحدث عند سهاحنا له بمساعدتنا في شىء ولو في تحضير السفرة (المائدة) مثلا، أن نظل نلقى له بالتوجيهات والشرح المتكرر، حتى يمل العمل الذى كان مقبلا عليه، حيث يريد أن ييارسه بطريقته الخاصة .. فلنترك له الفرصة في الابتكار مع التوجيه البسيط الذى يساعده في المرات القادمة .



← رابعا : يجب أن نترك مهارات الطفل تنمو طبيعيا :

بالطبع كلنا نفرح ونسعد حين نرى أطفالنا وهم يكبرون وينضجون أمام أعيننا، فعندما يبدأون في تعلم الأشياء كالمشى والنطق بالكلمات البسيطة، وتكوين الأشكال من الصلصال والمكعبات... إلخ، كل هذه الأشياء تسعدنا حين يفعلونها، والأفضل في تلك الحالة ألا نتدخل لدفعهم لعمل شىء معين، بل نتركهم على فطرتهم يفعلون ما يريدون مادام ليس فيه ضرر لهم.

فمن المسلم به أنه في هذه الحالة سوف ينمو الطفل أسرع ويتقدم أفضل، وما علينا إلا بتشجيعه فقط وألا نتدخل في شئونه ونتركه يعتمد على نفسه.. فمثلا الطفل الصغير لا يستطيع المشى إلا إذا قويت عضلاته فإذا ضغطنا عليه ستؤلمه أولاً وممكن أن نعرضه لبعض الأمراض كالكساح مثلا.

← خامسا : أعط لطفلك الفرصة ليساعدك :

يحتاج كل طفل لأن يشعر بأن من حوله يحتاجون إليه.. فدعه

يأخذ دوراً فعالاً في المنزل والمدرسة لأن هذا يشعره بأهميته لنا، وعدم استغنائنا عنه ويبني فيه ثقته بنفسه وتقديره لها .



← سادساً : ساعد الطفل على أن يشعر بأنه ينتمي لجماعة :

يحتاج الطفل لأن يشعر بأنه ينتمي لجماعة ولتكن أسرته أو فصله أو جيرانه، ولا يخيفه شيء أكثر من شعوره بالوحدة، وأنه غير مرغوب فيه بعكس لو شعر أنه جزء لا يتجزأ من المجموعة .



← سابعاً : اجعل لطفلك مكاناً خاصاً به :

إذا لم تعط لكل طفل حجرة خاصة به ، فعلى الأقل يجب أن تعطيه مكاناً خاصاً به . فمثلاً أعطه جزءاً من حجرة النوم أو رفا في الحائط أو ضلفة دولاب أو أى مكان ليضع فيه حاجياته . وأن تعطى له أقصى مساحة ممكنة من المنزل لتكون خاصة به، وتتركه يخلو بنفسه بعض الوقت يلعب ويلهو كما يشاء فيها هو مخصص له، ويجب ألا تحته طوال الوقت على أن يعمل عملاً يفيد من الناحية العقلية لأن هذا يؤدي لهروب من البيت لأنه لا يجد فيه راحته، فاتركه يجول بالمنزل بعض الوقت إذا أراد ذلك قبل أن يبدأ في المذاكرة أو القيام بالواجبات المنزلية.

← **ثامناً : أعطه شيئاً من الحرية مع تعويده تحمل المسؤولية :**

كلما كبر الطفل في السن ازداد شعوره بأنه يريد أن يوجه نفسه في الحياة.

ولكن مع عطائك له شيئاً من الحرية فهو يحتاج إلى مساعدة في تحمل المسؤوليات الجديدة التي نشأت من ازدياد حرите. ويفشل الآباء الديكتاتوريون في جعل الطفل يقدر مسؤولية أعماله ويتحملها ، إذ دائماً ما يقول لسان حاله : أنا أنفذ ما يوجهوني له فإذا فشلت فلن يقع العبء على .. بل على من يوجهني .



← **ثاسعاً : أعطه الحق في الاختيار :**

متى كبر الطفل يجب أن نسمح له ونشجعه على أن يتخذ قراراته بنفسه ويمكن أن نرشده إلى حسن الاختيار ونترك له الحرية المطلقة في ذلك حتى لو وقع في بعض الأخطاء فهذا هو السبيل الوحيد لتعلمه .



← **عاشراً : لا تجعل مخاوفك تتدخل في حياة طفلك :**

أى يجب أن ننحى مخاوفنا جانباً وأن نتركه يعيش حياته كغيره من الأطفال، فلا نخشى عليه مثلاً من لعب الكرة لأنها خطر، أو أن يذهب في رحلة مع المدرسة خوفاً من الحوادث، أو من تعرضه

للخطر حينما يسقط على الأرض، أو عندما يحتك بزملائه أثناء خروجهم من الفصل مثلاً.. ونفرض عليه القيود الكثيرة التي لا يتحملها، وبالطبع هذا خطأ لا بد من تعديله لأن الطفل يكتسب مخاوفه من أحد والديه أو كليهما بسبب إظهار ذلك الخوف عليه، ولذلك يجب على الوالدين تشجيع أطفالهم على فعل الأشياء التي يخشون منها وتدريبهم عليها برفق ودون زجر أو تأنيب .



← الحادى عشر : عود طفلك التكلم بلا خوف أو خجل :

يكون الطفل عادة محباً للاستطلاع ومبتكراً . يعيد الكلمات التي سمعها من الآخرين في المنزل أو المدرسة . ويجب أن نشجعه على أن يقول ما عنده لأنه ينتظر بعض التفسيرات المعقولة منا .. فنجد أن بعض الأطفال يترددون في أن يتكلموا بصراحة في المنزل أو في الفصل خوفاً من التعنيف أو السخرية .

والطفل الذى لا يتجاذب أطراف الحديث مع والديه ربما يحتاج فقط لإعارته أذنا صاغية.. كما أنه إذا أراد أن يستفسر عن شىء في النواحي الجنسية مثلاً يخجل ويشعر بالذنب، ولذا يجب أن نأخذ هذا بمأخذ الجد ونوجهه توجيهها صحيحا حتى لا يتعثر في مشكلات نحن في غنى عنها .

← الثاني عشر : راعى تأديبه باستمرار مع شيء من اللطف :

يجب وضع حدود معينة لسلوك الطفل .. وتكون الرقابة عليه معقولة .. ويجب عند العقاب أن يكون مساويا للفعل وأن يعرف لِمَ نعاقبه ؟ وتجنب عدم الثبات في المبادئ التي تضعها ، فمثلاً لاتعاقبه مرة بعنف على نفس الذنب الذي تساهلت فيه من قبل .



← الثالث عشر : أعط الطفل أهدافا ومبادئ وأشياء يعتقد فيها :

يريد الأطفال مثلنا تماما شيئا يعتقدون فيه ويعملون من أجله لتكون لحياتهم معنى ويتظرون أن يساعدهم الكبار لتحديد أهدافهم وتحديد مستوى الكمال الذي يعملون له، ويجدون في آبائهم ومدرسيهم نماذج يأخذون عنها الإيمان والاعتقاد .



← الرابع عشر: علم ابنك ثقافة الاعتذار:

كثيرا ما نغضب ونحتد ويرتفع صوتنا منفعلين على أبنائنا بلاذاع، وحينما نفيق من غضبتنا لا نعتذر، وهذا يضرب مثالا سيئا للأطفال.. والواجب على أى منا حينما يحدث هذا وتمر الأزمة على خير أن يعتذر لأبنائه ويمتهدى الصدق والصراحة يبرر أسباب انفعاله ويضم طفله إليه، وحينئذ سيتعلم الطفل أن الاعتذار عن

الخطأ لا يقلل من قيمة أو مكانة من يعتذر، وأن كل إنسان يمكن أن يخطئ وهذا ليس عيباً ولكن العيب الاستمرار في الخطأ. فاعتذار الأب أو الأم لطفلها إذا أخطأ في حقه هو بمثابة درس في ثقافة الاعتذار والتواضع والاعتراف بالخطأ.



ما يجب أن نتجنبه في تربية الأبناء

وإذا كانت تربية الأبناء تحتاج أن يقوم الآباء بما تقدم إلا أن هناك عدة أمور لابد من تجنبها حتى ينمو الطفل سليما نفسيا وصحيا وهي:

• **عدم الثبات:** إذا كان لابد من وجود نظام محدد يجعل الطفل يعرف متى يستيقظ ويتناول طعامه ويستحم ويلعب وينام، وهذا النظام يضمن ثبات الروتين اليومي إلا أنه لابد من وجود مرونة في هذا النظام إذا احتاج الأمر.

• **ابتعاد أفراد الأسرة بسبب الظروف أو العمل:** فيجب أن يجتمع أفراد الأسرة في وقت محدد سواء أثناء تناول الطعام أو في غرفة المعيشة مثلا، وأن يُخصص الوالدان وقتا لكل ابن ولهما معا أيضا، وأن يمتزج اللعب بالمرح والمناقشة، وأن نسمح للطفل بالتعبير عن مشاعره وألا نهمل ذلك.

• **تقديم المساعدة بشكل مبالغ فيه:** لأن هذا يجعل الطفل يفتقر للكفاءة في العمل والثقة بالنفس والاعتماد على الذات، فلا يتعلم المهارات التي تفيده في حياته.

• **الكلام الزائد:** عندما نتحدث الأم طوال الوقت حول سلوك الطفل ولا تبالي بلحظات بكائه أو محاولة اتخاذ بعض السلوكيات

السلبية منه وهي لا تزال تتحدث، في تلك الحالة عليها أن تراعى إدراك الطفل غير البالغ من حيث استجابته للنقاش والجدال، فتصدر تعليماتها مباشرة ومرة واحدة، وتترك للطفل الباب مواريا، بأن توجه له مثلا تحذيرا شفويا، وتمهله برهة قصيرة حتى يسلك السلوك القويم... وهكذا.

• تقديم وجبات يجبها الطفل دون حنه على تناول الجديد:

لا بد أن تشجعي طفلك على تجربة الأطعمة الجديدة، فقد يرفض الطفل طعاما معيناً في البداية ثم بعد فترة يميل إليه.. فحاسة التذوق هي الأخرى تأخذ في النمو وتتطور، ولا تحرميه من بعض الحلوى والأطعمة الخفيفة ولكن لا تكثري منها.

• التعجل بنوم الطفل بمفرده: فيجب أن تعوديه تدريجياً النوم

في سريرته حتى يطلب هو ذلك بنفسه ويكون مستعداً.

• السماح بوقت أطول أمام التلفيزيون والأفضل أن تشغليه

بالحديث أو الاستماع أو بمشاهدة الصور في الكتب المصورة أو بالألعاب التعليمية.

• محاولة إيقاف نوبة غضبه: فبعض الآباء والأمهات

يشعرون بالقلق إذا دخل الطفل في نوبة غضب أمام الآخرين ويريدون أن يتوقف عن ذلك فوراً، حيث يشعران بفشلهما.. لذلك يحاولان إيقاف نوبة غضب الطفل بأية وسيلة ولو أدى

ذلك لضربه أو تعنيفه.. والأفضل في هذه الحالة إبعاد الطفل عن الناس المحيطين به وإعطاؤه الفرصة لينفس عن غضبه، ويجب ألا يكون اهتمام الوالدين برأى الناس بقدر اهتمامها بمنح الوقت الكافي للطفل لكي يفرغ كل ما يزعجه ويضايقه والتحدث معه بهدوء.



المراجع

- تربية الطفل أن باكوس
- التربية الجنسية عند الولد أندریه بيجرج
- عندما يتأخر نمو طفلك د. نييل عطا الله
- حياة ابني كلها مشاكل د. محمد غانم
- طفلك له ٢٠٠ مشكلة د. سامي محمود
- طفلك في أعوامه الأولى فاطمة الزهراء
- الثواب والعقاب في التربية محمود ماهر زيدان
- حديث للأمهات دكتور سبوك
- موسوعة العناية بالطفل دكتور سبوك
- هكذا نربى هكذا نربى د. مصطفى أبو سعد
- الأطفال المزعجون د. مصطفى أبو سعد
- دليل الآباء في تفوق الأبناء د. سامي محمود
- طفلك وكيف تعتين به د. جورج أمين جرجس
- كلمات تقتل بها أولادنا جوزيف وكارولين
- كيف نتغلب على مشاكل مسينجر
- الطقل النفسية د. أيمن محمد عادل